

ضايا النهار

كيف روى لي فؤاد شهاب ملابسات الانتخابات الرئاسية عام ١٩٧٠

التي تفرضها عليه طبيعة الديموقراطية التي كان حریصاً على حمايتها واحترامها. كان ديموقراطياً لكنه، حسب تعبيره، لم يكن "يطيق الزاحفة". لم يكن يجهل طبائع السياسيين، وهي في حد كبير من طبائع اللبنانيين عامة. والمثل الشهير الذي كان يردده يدور حول المرأة التي سُكّلت عن معاش ابنها الموظف الصغير فلم تذكر معاشه ولكنها قالت انه "يطيق براني"!

يعقله الرافض لهذا النطاف من الحياة العامة على مستوى السياسة والإدارة، وبطبيعة الذي يمقّت الخداع والتزلف، وبشعور المستفز عن الرعامة وعن الشرورة. وبشّه افتتاح مسقّي بأن تغيير الرعامة والنواب والسياسيين شبه مستحيل... وباصرار ثابت على عدم المغودة الى ارتداء بزة الجنزار لاصدار البلاغ الرقّ واحد مهما كانت الاوضاع ومهما بلغت الغرارات، قبل فؤاد شهاب منصب الرئيسة في العام ١٩٥٨ . ولكنه منذ اللحظة الاولى لتنصيبه المنصب بدا وكأنه "تفضل" وقبل المهمة بغير ارادته. ولكن - للانصاف والتقدير - تحمل المسؤولية والواجب كبنرال مدنى فيما فرط بلحظة فيها خدمة ومنفعة عامة.

لقد انتقل من وزارة الدفاع الى القصر الجمهوري وهو يعرف النواب هرداً فرداً، وقد حمل معه "ملفاتهم" وملفات ومعظم المتقاعدين بالشؤون العامة، واذذلك كان عندما يستقبل احداً منهم كان يطلع على "ملفه" ثم يروح يستمع اليه وهو يتحدث، وقليلـاً ما كان يستفيض في الكلام، لكنه كان يرسم ابتسامة معبرة على وجهه عندما يلاحظ ان الزائر ذهب بعيداً خارج "مضمون" الملف. وقد روى لي مرة ان احد الوزراء بدأ "يقبض" بطرق مختلفة ببالغ تعبر في ذلك الزمن "زميدة". وجاء ذلك الوزير مرة الى مقابلته وراح يشرح له مشاريعه وحرصه على الزراوة في ادارته وراح الرئيس شهاب يرسم ابتسامته المعبرة على وجهه الى ان تضليل من "نزاهة" الوزير ف قال له: "يا معالي الوزير ... وعجلتني راسي بخبريكـاتك. عم تقبض دفاتـات زغيرة ما بتحرـز. عملـك شي ضرب بشـي خمسين الف ليرة وريـحيـي..." (كانت

الخمسين الف ليرة في تلك الأيام تكـيـاً).

هذا دليل على ان ادارة الرئيس شهاب لم تكون كلـما مثالية ونزـيمة، وهو كان يقرـف بذلك، لكنـه كان يقول باستفـارـه وحـيـره "مراتـ كنت اغـرف... وطـشـش... شـو بـعـلـ؟!".

لكنـ اذا كانـ الرئيس شهـاب وـرثـ ادارـة سيـاسـية وادـارـية غـيرـ صـالـحة فـانـهـ وـاقـعـ، او تـسـاهـلـ، فيـ حالـاتـ كـثـيرـةـ عـلـىـ اـمـورـ وـاجـراءـاتـ وـقـرـاراتـ لمـ تـكـنـ تـتوـافقـ تـامـاًـ معـ "نمـجـهـ" السـيـاسـيـ والـادـارـيـ. فـيـ عـمـدـهـ دـخـلـ الرـأسـمـالـ التجـاريـ غـيرـ السـيـاسـيـ وـغـيرـ التـزـيهـ الـحـيـاةـ الـنـيـابـيـ عـبـرـ نـوـابـ لمـ يـكـنـ يـتصـورـ اـحدـ انـ المـكـنـونـ عـيـونـهـ "هـذاـ هوـ تـضـعـ الرـئـيسـ شـهـابـ اـمـ وـاقـعـ عـوـانـهـ "هـذاـ هوـ الـبـلـدـ". وـلـكـنـ لمـ يـكـنـ بـوـسـعـ الرـئـيسـ انـ يـعـيـ

نفسـهـ منـ مـسـؤـلـيـاتـ تـلـكـ "ترـتـيبـاتـ". والـهـمـ منـ ذـلـكـ انـ الـقـسـامـلـ بمـثـلـ هـذـهـ "ترـتـيبـاتـ" قـادـ بالـتـدـريـجـ إـلـىـ زـيـرـ الرـئـيسـ شـهـابـ فيـ خـصـومـاتـ معـ كـمـالـ العـمـيدـ وـعـدـهـ يـرـيمـونـ اـهـدـهـ الذـيـ طـلـقـ العـهـدـ الشـاهـيـ وـذـهـبـ الىـ تـصـنـيفـ اـعـدـاءـ لـبنـانـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ بـثـلـاثـةـ الشـاهـيـةـ وـالـشـيوـعـيـةـ وـاسـرـائـيلـ.

وـقـدـ سـالـتـ الرـئـيسـ شـهـابـ بـعـدـ تـلـكـ المـعرـكةـ التيـ سـجـلـ فيهاـ اـهـدـهـ فيـ اـطـارـ (ـالـفـلـلـ الثـلـاثـيـ)ـ اـنـصـارـاـ اـهـدىـ الىـ هـزـيـةـ الشـاهـيـةـ فيـ الـعـامـ ١٩٧٠ـ.ـ هلـ كانـ منـ المـفـيدـ مـارـيـةـ العـمـيدـ بـمـدـهـ حـقـاـ الـبـادـيـ اـهـيـ اـنـ اـسـمـ بـهـ عـمـدـهـ فـيـ بـدـايـتهـ؟ـ اـجـابـ الرـئـيسـ شـهـابـ:

-ـ اـنـ اـهـدـهـ مـاـ يـبـحـبـنيـ.ـ وـيمـكـنـ مـعـهـ حقـ.ـ لـانـ لـهـ ماـ قـبـلـ اـنـ الرـئـيسـ كانـ يـكـنـ بـهـ يـعـيـعـ منـ الـجـهـةـ قـبـلـ!

الىـ القـاـمـةـ حتـىـ اـذـاـ سـمـعـ مـنـ اـنـ مـيـالـ الىـ التـرـشـيـحـ اـكـونـ قدـ طـلـبـ الرـئـيـسـ منهـ فـاـذاـ عـادـ وـسـمـعـ مـنـ الرـئـيـسـ عبدـ النـاصـرـ طـلـبـ تـأـيـيـدـ فـلاـ بدـ اـنـ يـأـخـذـ هـذـاـ طـلـبـ فـيـ الـاعـتـارـ فـيـ عـودـهـ الىـ لـبـانـ وـقـدـ يـرـىـ موـافـقـتـهـ عـلـىـ طـلـبـ الرـئـيـسـ عبدـ النـاصـرـ فـيـ بـيـشـاعـ فـيـ الـاوـاسـطـ الـاعـلـامـيـ وـالـسـيـاسـيـ اـهـنـهـ اـرـادـهـ رـئـيـسـ مـصـرـ وـاـنـ اـعـرـفـ اـنـ كـمـالـ بـكـ لاـ يـقـيلـ انـ يـقـالـ اـنـ اـتـخـذـ قـرـارـاـ بـنـاءـ لـرـغـبـهـ اـهـدـهـ حتـىـ لوـ كـانـ جـمـالـ عبدـ النـاصـرـ وـلـذـكـ جـاءـ قـبـلـ اـنـ قـطـاعـ نـسـبـيـ وـقـالـ اـنـ سـيـأـتـيـ لـزـيـارـتـيـ فـرـجـيـتـ وـاستـقـبـالـهـ اـلـىـ القـاـمـةـ لـيـبـلـغـ الرـئـيـسـ عبدـ النـاصـرـ فـيـ عـودـهـ يـقـولـ لـيـ:ـ مـبـرـوكـ...ـ وـيـضـعـنـيـ اـمـامـ الـامـرـ

فـيـ جـوـنـيـهـ)ـ قـائـلـاـ:ـ فـجـاءـ اـنـصـلـ كـمـالـ بـكـ بـيـ بـعـدـ طـولـ انـقـطـاعـ نـسـبـيـ وـقـالـ اـنـ سـيـأـتـيـ لـزـيـارـتـيـ فـرـجـيـتـ وـاستـقـبـالـهـ اـلـىـ القـاـمـةـ لـيـبـلـغـ الرـئـيـسـ عبدـ النـاصـرـ فـيـ عـودـهـ يـقـولـ لـيـ:ـ مـبـرـوكـ...ـ وـيـضـعـنـيـ اـمـامـ الـامـرـ

وـلـكـنـ يـنـهيـ الرـئـيـسـ شـهـابـ -ـ الـمـسـأـلةـ

كـانتـ تـتـقـاطـعـ اـلـىـ كـلـمـةـ مـنـ كـمـالـ بـكـ اوـ كـلـمـةـ مـنـيـ.

وـكـلـ مـنـ نـدـنـ الـاثـنـيـنـ كـانـ يـتـقـظـرـ كـلـمـةـ الـآخـرـ.ـ وـلـقـ اـهـدـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ

مـكـذـبـ اـنـتـصـرـ اـنـدـادـ الـكـبـيـرـ"ـ وـاتـمـتـ المـعرـكةـ لـمـ يـقـيلـ

لـمـلـحـةـ شـهـابـ وـلـمـلـحـةـ جـبـلـاطـ فـيـ مـاـ بـعـدـ.

وـاضـافـ الرـئـيـسـ شـهـابـ شـارـحاـ لـيـ:ـ غـابـ كـمـالـ

بـلـ بـضـعـةـ اـيـامـ.ـ وـعـلـمـتـ مـنـ الصـفـ اـهـدـهـ عـادـ مـنـ

فـيـ ضـمـيرـ الرـجـلـينـ الـفـائـيـنـ الـكـبـيـرـيـنـ.ـ لـكـنـ الـمـعرـكةـ

فـيـ الـعـامـ ١٩٧٠ـ كـانـ اـكـبـرـ مـنـ اـنـ تـنـصـرـ فـيـ

نـطـاقـ رـجـلـيـنـ مـهـمـاـ بـلـغـ عـنـادـهـمـاـ لـمـ يـكـنـ اـنـ يـقـرـرـ

اتـجـاهـ لـوـلـهـ كـانـ اـنـتـخـلـ مـرـحلـةـ التـحـوـلـاتـ الـخـطـيرـةـ

عـلـىـ الصـعـيدـ الدـاخـلـيـ بـاـعـادـهـ الـاقـلـيمـيـ وـالـدـولـيـ.

وـتـابـعـ الرـئـيـسـ شـهـابـ:ـ وـطـبـعـ رـحـبـتـ.ـ وـاـيـضاـ

قـرـرتـ اـنـ هـذـاـ شـيـئـاـ مـاـ بـلـغـ كـمـالـ بـكـ وـبـينـ سـيـديـهـ كـمـالـ

الـمـتـشـابـكـةـ الـتـيـ يـبـاعـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ سـيـديـهـ كـمـالـ

يـزـورـنـيـ كـمـالـ بـكـ مـرـةـ ثـانـيـةـ بـعـدـ عـوـنـهـ مـنـ لـقـاءـ

الـاـحـتـراـمـ الـمـتـبـالـدـ يـلـجـأـوـنـ اـهـنـيـاـ لـلـتـعـيـرـ عـنـ هـذـهـ

الـصـرـاعـاتـ بـالـكـلـمـاتـ الـبـيـسـيـطـةـ الـتـيـ تـمـيـزـ بـالـاـدـبـ

وـقـدـ تـأـخـذـ طـبـاعـ الـلـفـاظـ الـتـيـ لـيـ يـفـهـمـهـاـ لـمـ

عـاشـ فـؤـادـ شـهـابـ لـىـ ماـ بـعـدـ الـعـامـ ١٩٧٣ـ لـكـانـ لـهـ

تـفـسـيـرـ اـوـضـعـ وـاـشـمـلـ لـلـاسـابـ وـالـعـوـاـمـ الـقـرـصـ

تـفـجـرـ لـبـانـ اـنـطـلـقاـ مـنـ تـنـاقـ هـزـيـةـ ١٩٧٦ـ.

لـقـدـ روـيـ الرـئـيـسـ شـهـابـ اـنـكـسـارـ صـدـيقـ

الـكـبـيـرـ"ـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ جـبـلـاطـ.ـ قـالـ:

بعدـ اـنـتـهـاـ المـعرـكةـ اـهـنـيـاـ لـمـ اـنـتـرـشـ فـيـمـاـ بـفـوـزـ

الـرـئـيـسـ فـرـنجـيـهـ تـلـقـيـتـ مـنـ الـقـاـمـةـ تـفـاصـيلـ الـبـزـءـ

صـدـيقـ الـكـبـيـرـ كـمـالـ بـكـ مـنـ اـنـتـهـاـ اـنـ وـقـفـ

وـفـيـ تـفـاصـيلـ اـنـ كـمـالـ بـكـ عـندـمـاـ وـقـفـ

الـرـئـيـسـ عـبدـ النـاصـرـ:ـ "ـيـتـوصـيـ

كـمـالـ بـكـ...ـ وـعـلـىـ فـكـرـهـ...ـ اـنـتـوـ عـنـدـمـاـ اـنـتـخـارـةـ

رـئـاسـةـ قـرـيـباـ...ـ وـعـلـىـ جـبـلـاطـ.

-ـ صـحـيـحـ...ـ شـوـ رـأـيـ سـيـادـتـكـ؟ـ

ـ قـالـ عـبدـ النـاصـرـ:

ـ "ـ الرـأـيـ رـأـيـكـ"ـ كـمـالـ بـكـ...ـ بـسـ اـنـ بـشـمـدـ انـ

عـلـقـتـنـاـ مـعـ الرـئـيـسـ شـهـابـ مـنـ ١٩٥٨ـ اـلـىـ

كـانـتـ نـاجـحةـ وـمـفـيـدةـ لـنـاـ جـمـيعـاـ."

ـ وـتـوـقـفـ الرـئـيـسـ شـهـابـ هـنـاـ يـقـسـمـ اـنـ يـسـافـرـ اـلـىـ

الـقـاـمـةـ كـانـ يـقـعـ فيـ حـسـابـ اـنـ يـظـلـ مـنـ

الـرـئـيـسـ عـبدـ النـاصـرـ اـنـ تـقـلـيـتـهـ لـمـ يـقـرـرـ

فـيـ حـرـبـ الـاصـلاحـ السـيـاسـيـ وـالـادـارـيـ وـالـانـمـائـيـ"

ـ وـارـادـ اـنـ يـنـسـحـبـ مـنـ الـدـرـبـ

ـ لـقـدـ غـلـبـ طـبـعـ الـعـسـكـرـيـ الـذـيـ اـبـقـاهـ جـنـالـاـ فيـ

الـسـيـاسـةـ.ـ فـهـوـ لـمـ يـسـطـعـ اـنـ يـتـعـالـمـ اـنـ يـتـخـابـ

رـئـاسـةـ قـرـيـباـ...

ـ وـعـلـىـ جـبـلـاطـ.

ـ يـقـولـ غـانـيـ:ـ "ـالـاـخـتـلـافـ بـالـرأـيـ يـجـبـ الـلـهـ

ـ فـيـ عـبـادـتـهـ وـعـلـىـهـ مـعـالـمـتـهـ بـأـنـهـ وـزـوجـتـهـ مـنـ أـلـدـ

ـ الـاعـداءـ".ـ تـقـلـيـتـهـ زـمـليـيـ عـلـىـ هـذـاـ طـرـحـ،ـ بـلـ اـعـتـبـرـ

ـ اـكـثـرـ الـشـعـبـ الـلـبـانـيـ مـنـ الـمـؤـمـنـ.ـ وـلـشـكـ

ـ فـيـ الـبـشـرـ.

مـصـطـفـيـ عـبدـ الـقـادـرـ

وعـنـدـمـاـ دـخـلـتـ مـكـتبـ الرـئـيـسـ وـجـدـتـهـ وـاقـفاـ

ـ فـيـ بـادـرـيـ قـائـلـاـ:

ـ قـرـأتـ مـقـالـكـ عـنـ لـبـةـ الـكـهـرـيـاءـ فـيـ ضـيـعـتـكـ.

ـ اـجـبـنـيـ وـصـفـكـ لـشـعـورـكـ عـنـدـمـاـ رـأـيـتـ الـلـبـةـ،ـ وـطـبـعـاـ

ـ هـذـاـ شـعـورـ كـلـ اـبـنـاءـ ضـيـعـتـكـ.

ـ هـذـاـ شـعـورـ